تداولية الإشاريات عند ابن زيدون
قصيدة "أثرت هزبر الشرى إذ ربض" أنموذجًا

د٠ حنان بنت علي عسيري (*)

المقدمة :

تمثل الإشاريات أو الإشارة(١) أو التأشير(٢) أو المشيرات(٣) أحد المباحث التي تقوم عليها التداولية وهي: الإشارة، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية.

ولما كانت النظريات الدلالية الشكلية عاجزة عن معالجة العناصر الإشارية الموجودة في عبارة مثل (لقد أتوا من بلادهم البعيدة لينالوا ما وضعه الملك من جائزة إن أنجزوا هذا العمل) والتي يظهر فيها التعقيد جليّا واضحًا في عناصرها الإشارية من دون أي معرفة بالسياق المادي الذي ذكرت فيه، ولا المرجع الذي أُحيلت إليه، ظهر ما يسمى علم الدلالة المقامي، الذي يقوم على إدخال الجوانب السياقية في التفسير الدلالي، لتصبح الإشاريات مجالا مشتركًا بين علم الدلالة والتداولية.

(*) معهد تعليم اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، (مصر: جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ٢٠٠٢م)، ص ١٥.

(٢) التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتابي، ط١، (الدار العربية للعلوم ناشرون: ٢٠١٠م)، ص٢٧.

(٣) المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، (مركز النشر الجامعي: ٢٠٠٩م)، ص٤، والمشيرات المقامية في القرآن، منى الجابري، (مؤسسة الانتشار العربي: ٢٠١٣م)، ص٤.

محتوى الدراسة ومنهجها:

وفي هذا العمل سأتطرق إلى الإشاريات باعتبارها الجانب الآخر للدلالة الذي يتحقق منه معانٍ كثيرة تقوم على ترجمة ما يمكن أن نسميه (الاقتصاد اللغوي)، [1] المتمثل في كلمات قليلة لكنها تشي بمعانٍ كثيرة، وهذا غاية الخطاب واستعمال اللغة، بحيث تكون اللغة سهلة الاستعمال وافية بالدلالة تلبي كل متطلبات التواصل. وسأدمج هذا التناول النظري بتناول تطبيقي على إحدى النصوص الأدبية الشعرية، إذ يمثل الشعر رافدًا أساسًا من روافد الخطاب الذي تكتنز فيه الإشاريات بشتى صورها، وسيكون النص **(ضادية ابن زيدون)** التي مطلعها (أثرت هزبر الشرى إذ ربض* ونبهته إذ هدا فاغتمض)، وهي قصيدة من عيون القصائد العربية التي أنشأت حبكة خطابية ذات مستوى عالٍ تتمثل في العتاب المتضمن في ثناياها، وسآتي على تفصيل القصيدة، وتناول ظروفها وما يدور حولها. والذي أحرص عليه في هذا التناول أن يجيب على بعض الأسئلة المهمة.

وسيكون المنهج المتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفيّ والتحليليّ باعتبار أنها تتكون من جانبين، الجانب النظري الذي يعنى بموضوع الإشاريات وأنواعها، والجانب التطبيقي الذي يتناول الإشاريات عند ابن زيدون في ضاديته (أثرت هزبر الشرى إذ ربض).

أسئلة الدراسة:

تجيب هذه الدراسة على سؤال رئيس، وهو: **ما دور الإشاريات التداولية في ترابط الخطاب والنص؟**

ويندرج تحت هذا السؤال أسئلة فرعية:

---

(١) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، (المدينة الجديدة: الأمل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة، تيزي ويزي، ٢٠١٢م)، ص١٠٩.

- ما موقع الإشاريات من التداولية؟
- ما الإشاريات التداولية؟ وما أنواعها؟
- كيف تؤثر الإشاريات التداولية في ترابط الخطاب والنص؟
- كيف أثرت الإشاريات في ضادية ابن زيدون؟

مصطلحات الدراسة:

التداولية: هي مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية. (١)

الإشاريات: هي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، (٢) **أو يمكن تعريفها بأنها:** تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه. (٣)

الخطاب: معطى تواصلي لساني يشكّل فضاء للتعامل بين المخاطِب والمخاطَب وهو ما يُضفي عليه طبيعة النشاط الذي يدور بين شخصين ويتحدد بأهداف اجتماعية. (٤)

---

(١) التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. مسعود صحراوي. ط١. (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥م)، ص٥.

(٢) تحليل الخطاب: يول براون. ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي. (المملكة العربية السعودية: الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م)، ص٣٥.

(٣) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، ط١، (لبنان، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م)، ص٨١.

(٤) الخطاب: تحديات وتصورات: أغليمو محمد. مجلة بصمات. جامعة الحسن الثاني المحمدية، كلية الآداب، العدد السادس (٢٠١٥م)، ص٩١.

أهمية الدراسة ومدخل إليها:

قبل أن نلج إلى الدلالة اللغوية والاصطلاحية، عندما أنظر إلى الإشاريات أجد أنها تمثل – بشكل جازم – نظرية الدال والمدلول، والرمز والمرموز، بل تعد الشكل المتقدم منها، فنظرية الدال والمدلول تتعامل مع المفردات بصورة واحدة أين وردت، فالقلم (الدال) يدل على تلك الأداة التي تصنع على شكل مستطيل أسطواني الشكل نحيل، يكون من الخشب، ويستعمل بغمسه في الحبر، أو من مواد أخرى ويكون مجوّفًا ليوضع فيه الحبر، فهنا نجد أن القلم حيث ورد في الكلام، فإنه يعني هذا (المدلول) الذي ذكرته. أما الإشاريات فهي (دال ومدلول) ولكنها تتحدث بتحدّث السياق واختلافه؛ لأن الإشاريات في دورها تنحصر في تعيين المرجع الذي تُشير إليه، وتتعلق دلالتها بالمقام؛ لأنها أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر، وتقوم بوظيفة تعويض الأسماء [١]، وهذا يُرجعنا إلى الأهمية البالغة التي أولتها اللسانيات التداولية للوظيفة المرجعية [٢]، حيث يصنفها رومان جاكبسون ضمن الوظائف اللغوية الستّة [٣]، ويرى أنها أساس كل تواصل، فهي تحدد العلاقات بين المرسل والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه،

(١) نسيج لنص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الزناد الأزهر، ط١ (المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م)، ص١١٦.

(٢) وتسمى كذلك المعرفيّة أو الإيحائية، تعنى أنه حين تتجه الرسالة إلى السياق وتركّز عليه؛ فدور اللغة أن تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها بالرمز إليها، إذ اللغة رموز معبّرة عن أشياء.

(٣) الوظائف الستّ للغة عند جاكبسون: الوظيفة التعبيرية، والوظيفة الإفهامية، والوظيفة الانتباهية، والوظيفة المرجعية –وهي محور تناولنا–، ووظيفة ما وراء اللغة، والوظيفة الشعرية.

وتعد أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل، مقارنة ببقية الوظائف التي تظهر ثانوية أمامها. (١)

وحتى تتضح الصورة فإن الإشاريات ليست مبحثًا مستحدثًا في حقل الدراسات اللغوية، فقد تناوله النحاة قديمًا وبينوا خصائصه الصرفية والتركيبية والدلالية، وكذلك تناول الفلاسفة الإشاريات في مؤلفاتهم من حيث علاقتها بقضية الدلالة والإحالة المرجعية، وكذلك انشغل بها اللسانيون أيضًا، محاولين كشف أبعادها المختلفة. (٢)

(١) النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون: دراسة ونصوص، فاطمة الطبال بركة، ط١، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م)، ص٦٧.

(٢) التداولية: أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ط١، (عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص٧٥، ٧٦.

المبحث الأول

تداولية الإشاريات

المطلب الأول: الإشاريات في اللغة والمصطلح

جاء في لسان العرب في مادة: شَوَرَ (أشار الرجل يُشِيرُ إشارةً: إذا أَوْمَأَ بيدَيه. ويقال: شَوَّرتُ إليهِ بيدَيَّ وأشرتُ إليهِ: أي لوَّحتُ إليه وألَحْتُ أيضا. وأشار إليه باليد: أوْمَأَ، وأشَارَ عليهِ بالرأيِ. وأشار يُشيرِ إذا ما وَجَّهَ الرأيَ). (١)

وتقترن الإشاريات بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق على مجموعة من الوحدات التركيبية والعوامل الدلالية غير المنفصلة عن سياقات إنتاج الملفوظ. (٢) فيعرفها مسرد التداولية – اصطلاحًا – بأنها "الصيغة اللغوية التي يتم بها التأشير باللغة"(٣)، ويشير القاموس الموسوعي للتداولية إلى أن الإشاريات هي "ما يمكننا إسناد دلالة لها على أساس الإرشادات اللغوية المتصلة بها إن نحن عرفنا مقام القول". (٤)

أما جورج يول فيُعرّف التأشير بأنه "مصطلح تقني يُستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام، والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة". (٥)

---

(١) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، المجلد الرابع، ص ٤٣٦.

(٢) التداولية: أصولها واتجاهاتها، ص ٧٦.

(٣) الماشطة، مجيد، والركابي، أمجد: مسرد التداولية، مجيد الماشطة وأمجد الركابي، ط١، (عمان: دار الرضوان،٢٠١٨م)، ص ٥٠.

(٤) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، ط٢، (تونس: المركز الوطني للترجمة،٢٠١٠م)، ص ٥٦٨.

(٥) التداولية، ص٢٧.

فالإشاريات مجموعة من العلامات التي تدخل ضمن التلفظ والسياق، ولا تكون مستقلة بذاتها ومعناها، بل هي مرتبطة بالسياق، وبأبعد من ذلك وهو الخلفية الشاملة للمرجع المقصود؛ لأنه إن لم يُفهم ذلك المرجع بشكل كاف لتحصيل الرسالة التي يُراد إيصالها، فلا داعي إذًا لاستعمال الإشاريات؛ لأن الغرض منها يكمن في المعادلة التالية **(إشارة=دلالة كاملة بخلفية كاملة عن المرجع الذي نريد الإشارة إليه)**، فإن لم يتحقق طرفا هذه المعادلة، فإن الإشارة لا معنى لها.

المطلب الثاني: وظيفة الإشاريات:

إن الإشاريات تهتم مباشرة بالعلاقة بين التركيب اللغوي والسياق الذي تُستعمل فيه؛ ولذلك كان من تعريفات الإشارة أنها "مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تُحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة، أو الزمن، أو المكان، حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط به معناه". (١) فنجد أن وظيفة الإشاريات تتمثل في أنها جزء من اللغة، وبالتالي فوظائفها تدخل في وظائف اللغة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

- **الوظيفة الاجتماعية:** وهي التي أشار إليها ابن جنّي في تعريفه للغة بأنها **(**أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**)**، فنجد أن الإشارات تقوم مقام الأصوات في إيصال المراد بالاعتماد على المقام الذي قيلت فيه، إضافة إلى المرجع الذي تشير إليه بالاعتماد على الخلفية الكاملة لهذا المرجع وفهم أطراف التواصل لتلك الخلفية.

- **محورية التواصل:** والتي تتعلق باللغة أيا كانت، باعتبار أن الغرض الأول من اللغة هو التواصل، وفي هذا السياق يقول محمود نحلة: "ويلفت لفنسون إلى أن التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات

---

(١) نسيج لنص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، ص١١٦.

الطبيعية وضعت أساسًا للتواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه، وتظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما تشير إليه، فيسود الغموض ويستغلق الفهم". (١)

- **الإيجاز والاختصار**: فمبحث الإشاريات في التداولية – إلى جانب المباحث الثلاثة الأخرى – يمثل الجانب الخفي للغة، فهو – إن صح التعبير – القدر اليسير الذي يحمل الكثير من الدلالات والمعاني؛ لأنها تُحيل على مراجع خارجية غير محدودة، وإن كانت تلك الإشاريات تحتاج إلى السياق لتكون نافعة، إلا أنها تظل في حيز الإيجاز والاختصار.

- **الخصوصية**: ونجد ذلك يتمثل في اعتبار الإشاريات عناصر لغوية تُحيل على مراجع خارجية، ولهذه المراجع خصوصيتها التي تكون منطوية بين أطراف التواصل، فقد يُورد في الكلام ما يعتمد على الإشاريات، ويسمعه شخص ما لكنه لا يفهم مدلوله، لأنه لا يعرف المرجع الذي تحيل إليه هذه الإشاريات.

ولا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز ذلك إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة، عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها الدور التداولي في استراتيجية الخطاب. (٢)

المطلب الثالث: أنواع الإشاريات

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن الإشاريات تتوخى التعيين والتحديد المتعلق بالأشخاص والأشياء والأحداث والأنشطة التي نتحدث عنها، والتي نُحيل إليها في علاقتها بالسياق الزمكاني المتولد عن فعل التلفّظ(٣) ويخلُص أغلب الباحثين إلى أن الإشاريات خمسة أنواع: إشاريات شخصية، وإشاريات زمانية، وإشاريات

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٧.
(٢) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص٨١.
(٣) التداولية: أصولها واتجاهاتها، ص ٧٨.

مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية أو نصّية. [١]، وبعضهم اقتصر على كونها ثلاثة أنواع [٢]: شخصية، وزمانية ومكانية، وقد يوضح هذا الرسم طبيعة كونها ثلاثة أنواع أو أكثر من ذلك:

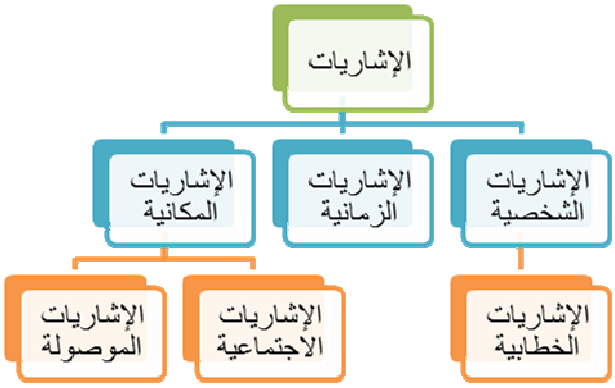

شكل (١) [٣]

نلاحظ أن الأقسام الأساسية في الشكل هي (الإشاريات الشخصية، والإشاريات الزمانية، والإشاريات المكانية) والتي تمثل (الأنا، والآن، والهنا) ليتفرع بعد ذلك من الإشاريات الشخصية (الإشاريات الخطابية) فيمن عدوها أربعة أنواع، ويتفرع من الإشاريات المكانية (الإشاريات الاجتماعية) عند من عدوها خمسة أنواع، إضافة إلى (الإشاريات الموصولة) عند من أضافوا لها نوعًا سادسًا.

والذي يهمنا في هذه الدراسة هي الأنواع الثلاثة الأولى، فهي – في حقيقة الأمر – تمثل لبّ الإشاريات من حيث أنها تعالج الجانب الشخصي، الذي يقوم عليه الخطاب، فالخطاب مكوّن من **متكلم** (أنا، نحن) سواء أتت صريحة بضمير

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٧–١٨.

(٢) التداولية: أصولها واتجاهاتها، ص ٧٨.

(٣) البعد التداولي للإشاريات الشخصية في مقامات الحريري: الضمائر أنموذجًا، مشري آمال ومزوز دليلة، بحث منشور، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد٩، عدد٤، (٢٠٢٠م)، ص ١٢٣.

منفصل أو أتت بضمير متصل (تاء الفاعل، نا الفاعلين) أو أتت بضمير مستتر مقدّر، **ومُخاطب** (أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتنّ، أنتم) سواء أتت صريحة بضمير منفصل أو أتت بضمير متصل (تاء الفاعل المخاطب المذكر والمؤنث بمفردها أو ملحقًا بها ألف الاثنين أو ميم الجمع المذكر أو نون النسوة) أو أتت بضمير مستتر مقدّر، وهناك جانب آخر للخطاب قد لا يكون مشاركًا بشكل مباشر، إلا أن له أثرًا في مجريات الخطاب، وهو الغائب المتمثل في (هو، هي، هما، هنّ، هم) سواء أتى ظاهرًا أو متصلا أو مقدّرًا.

وفي هذا السياق، يؤسس (بنفست) لعلاقة وثيقة بين الضمائر وسياقات الكلام، مؤكدًا أنها لا تنتمي إلى طبقة واحدة متجانسة، إذ إن ضمير المتكلم والمخاطب يحيلان إلى ذاتي ملفوظ ومتفرد، ومعنى ذلك: أن ضمير المتكلم واحد، لكنه حركي بإمكان أي متحدث أن يستعمله ويطبعه بسماته الخاصة، وأن يُحيل من خلال خطابه الخاص؛ كذلك الحال مع ضمير المخاطب الذي لا يحيل إلى فرد بعينه، وإنما تتحدد دلالته من خلال السياق الكلامي؛ بينما يرى أن ضمير الغائب ذو طبيعة موضوعية؛ لأنه لا يحيل إلى واقعة كلامية معينة، وكما أن مرجعيات هذا النوع من الضمائر لا دلالة لها، لأنها لا تقترن بسياق كلامي محدد، ولذلك يدرجها (بنفست) ضمن ما يطلق عليه (اللاشخص)، ويستدل على ذلك من خلال استعماله عائدًا داخليًّا مثل (بيير مريض، إنه محموم)، وأحيانًا للإحالة على وقائع خارجية مثل (تمطر)، أي: السماء تمطر، [1] ليُترجم (جاك موشلر وآن ربول) تلك العلاقة بالشكل أدناه:

(١) التداولية: أصولها واتجاهاتها، ص ٧٩.

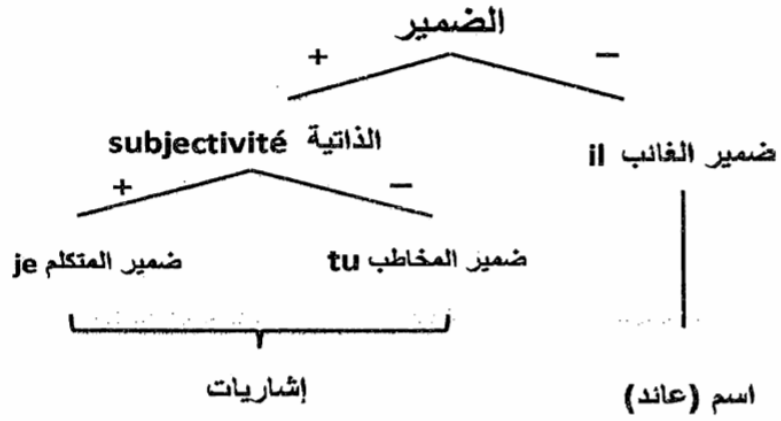

شكل (٢) [١]

وكما تبين لنا فإن مدار الإشاريات الشخصية ينتج عنه الخطاب، لذلك فدراسة الإشاريات الشخصية يندرج فيه – بشكل عارض وأكيد – دراسة الإشاريات الخطابية، فلأجل ذلك لم يعدها بعضهم نوعًا مستقلا، وعلى هذا تُقاس بقية الأنواع الأخرى غير الأنواع الثلاثة الأخرى.

**

(١) المصدر السابق، ص ٨٠.

المبحث الثاني

الجانب التطبيقي، تداولية الإشاريات في ضادية ابن زيدون

"أثرت هزبر الشرى إذ ربض"

إن خير ما يمكن ترجمة الإشاريات من خلاله وإظهارها بشكل واضح، هي النصوص الأدبية التي أنتجها مبدعون أدركوا أن بناء النصّ يحتاج إلى حنكة وإمكانية عالية في طريقة ربطه وكذلك طريقة تدويل الخطاب فيه، فتمثل هذا الأمر في النص المُتناول بالدراسة، وهو **(ضادية ابن زيدون)** التي مطلعها **(أثرت هزبر الشرى إذ ربض)**، ويُعتبر هذا النص هو النموذج الأمثل لتناول الإشاريات فيه؛ لأنه عبارة عن قصيدة يعاتب فيها ابن زيدون الوزير ابن عبدوس – وقد كانا صديقين حميمين – في أنه ينافسه في حبّ ولادة بنت المستكفي، فضمّنها ذكريات بينهما تمتلئ بالخطاب والإشاريات الشخصية فضلا عن الزمانية والمكانية، وإن لم تكن هذه الزمانية والمكانية تدل دلالة واضحة على أماكن وأزمان محددة، إلا أنها تشير إلا الجانب الخفيّ والمهم في تلك الإشاريات، وسأتعرض لأنواع الإشاريات الثلاثة (الإشاريات الشخصية، والإشاريات الزمانية، والإشاريات المكانية) في هذا النص الذي يبلغ عدد أبياته ٤٠ بيتًا على بحر المتقارب، وقافيته الضاد، لنبرهن أن الإشاريات جوهر الخطاب الذي يختزل في داخله الكثير مما يريد أن يخبر المتكلم به المخاطب دون أن يكون هذا الخطاب عامًّا للجميع، بل مخصوصًا بمن وُجّه إليه.

وسأتناول الإشاريات في هذا النصّ بما يُحدث تناغمًا بين الجانب النظري والتطبيقي للإشاريات، فأحصي ما أورده ابن زيدون من الإشاريات، وهذه غاية الدراسة، أن يدلل التطبيق على الجانب النظريّ.

المطلب الأول: الإشاريات الشخصية

وهي عناصر لسانية تبرز على مستوى البنية السطحية أو العميقة للخطاب، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بوسائل لغوية، ويحددها فلاسفة النظرية التداولية وعلماء لغة النص بسلسلة الضمائر بأنواعها المتصلة والمنفصلة والمستترة وجوبًا وجوازًا، وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وهي بشكل عام: الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب (١).

وتعد أوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص ما، هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده، مثل: أنا، أو المتكلم ومعه غيره، مثل: نحن، وكذلك الضمائر الدالة على المخاطب مفردًا أو مثنى أو جمعًا، مذكرًا أو مؤنثًا، وضمائر الحاضر التي هي دائمًا عناصر إشارية؛ لأن مرجعها يعتمد اعتمادًا تامًّا على السياق الذي تُستخدم فيه. (٢)

والذي نبحث عنه في هذه العناصر والإشاريات ليست الدلالة الأولى، حيث تدل الضمائر على ذات المتكلم أو المخاطب، ولكن المقصود هو معرفة المُحال إليه الذي يحيل إليه الضمير.

ويمكن أن نتناول في هذا النوع جانبًا فلسفيًّا وبعدًا آخر يتمثل في الصدق، فليس بكافٍ أن يعود الضمير على ما يحيل إليه، ولكن أن تكون هذه الإحالة صحيحة صادقة، وقد نبّه بيرس إلى أن الإشاريات ينبغي أن تكون محددة المرجع بتحقق العلاقة الوجودية بين العلامة وما تدل عليه. (٣)

---

(١) انظر: استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص٨٢، وانظر: تداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي: مجالس دمشق نموذجًا، لندة قياس، مجلة أبوليوس، جامعة محمد الشريف مساعدية، المجلد الخامس، العدد التاسع، (٢٠١٨م)، ص٤٨.

(٢) القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٥٦٨.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٩–٢١.

كما يمكن أن يدخل في الإشارة إلى الشخص النداء، وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه، وهي مميزة بتنغيم يميزها، وظاهر النداء لا يُفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه.

وتعتبر ملامح الإشاريات الأكثر بروزًا في نص ابن زيدون هي الإشاريات الشخصية؛ لأن غرض القصيدة عتاب خالص، ضمّن فيه ما يشبه المحادثة بينه وبين ابن عبدوس الوزير، وكان هناك طرف ثالث في هذه المحادثة، فأحيانًا ما يكون مدار الخلاف وهي ولادة بنت المستكفي، وأحيانا تكون إحالة على شخص مجهول أو ذات مجهولة يُضرب فيها المثل، وسآتي لهذه المواضع بشكل مفصّل؛ وقبل أن أشرع في ذلك أستعرض رسمًا توضيحيًّا لطبيعة الإشاريات الشخصية في هذا النص، وهي كما يلي:

شكل (٣)

<u>أولا: ضمائر المتكلم.</u> والمرجع الذي تعود إليه الإشاريات الدالة على المتكلم هو الشاعر ابن زيدون، حيث يعدّ منشئ النصّ العنصر الإشاري الشخصي المتكلم، وبرغم ذلك – ولمراد في خاطره – فلا نجد في القصيدة حتى البيت السابع ما يشير إلى المتكلم، بل كانت كلها منصبّة إلى المخاطب، ولعله بذلك يريد أن يترك له مجالا للتفكير مع نفسه فيما فعل؛ لأنه – كما سيأتي في ضمائر المخاطب والغائب – اعتمد عليهما بشكل كبير حتى يوصل المضمون الذي يريد إيصاله، دون تدخل منه.

وقد استعمل ابن زيدون من ضمائر المتكلم الضمير المتصل (ياء المتكلم) والضمير المتصل (تاء الفاعل) والضمير المستتر المقدر بـ(أنا)، وسأفصلها فيما يلي:

الضمير المتصل (ياء المتكلم): (منزعي)، (إذا وتري)، (فإني ألين)، (لمن لان لي)، (من رام قسري)، (مصادقتي)، (أبِن لي)، (من أدبي)، (من شيمتي)، (ولا عادني)، (ولا نالني)، (لعمري)، (بعدي)، (بسرّي)، (أنّي)، (أنّي)، (فلا مشربي)، (ولا مضجعي)، و(وحسبي)، (أني)، (يا سيدي).

فنجد هنا ٢١ **موضعًا** استعمل فيها ابن زيدون الضمير المتصل الدال على المتكلم (ياء المتكلم)، ولو نلاحظ، فإنها كلها تحيل على عنصر إشاري ذى دلالات مختلفة، وكلها تعود إلى مرجع واحد وهو (ابن زيدون)، ولو نظرنا في الدلالات نجد بعضها حقيقيًّا وبعضها مجازيًّا، ونجدها ترتبط بأسماء مثل (منزعي، وتري، قسري، مصادقتي، أدبي، شيمتي... إلخ)، ونجدها كذلك ترتبط بأفعال مثل (عادني، نالني)، ونجدها ترتبط بحروف مثل (لي، إني، أني)، وقد جعلت هذه الضمائر المعاني المراد إيصالها قويّة دون أن يذكر اسمه أساسًا، إلا أن العائد في ذلك يعود عليه هو ابن زيدون منشئ النصّ.

وفي الضمير المتصل (تاء الفاعل المتكلم): (فغادرتُه)، (ونُبئتُها)، (انتخبتُ)، (استجدْتُ)، (أطبتُ)، (أبحتُ)، كما نجد أنه استعمل الضمير المتصل (تاء الفاعل) الدالة على المتكلم في ٦ **مواضع**، كلها في الماضي، وقد أتى بهذه الأفعال وربطها بهذا الضمير، حتى يدلل على أمرٍ ما وهو أنه قد أنهى ما يجب عليه، ولم يدخر جهدًا في أن تكون العلاقة بينه وبين ابن عبدوس علاقة قوية، إلا أن هذا الأخير أفسدها بما فعله من منافسته له على محبوبته، وخرقه لكل ما كان بينهما من سابق.

أما الضمير المستتر (أنا): (أرى أنا)، (أعيذك أنا)، (وأترك أنا)، (وأمحضُ أنا)، (أضطلعْ أنا)، (ألتفتْ أنا). وكلمة (أنا) الموجودة بعد كل موضع هي من إضافتي، وهي إشارة إلى الضمير المستتر الذي تقديره (أنا)، فنجده قد استخدمه كذلك في **٦ مواضع**.

شكل (٤)

نجد فيما سبق أن ابن زيدون استعمل في نصّه ضمير المتكلم في **٣٣ موضعًا**، وكلها تعود على مرجع واحد وهو ابن زيدون، منشئ النصّ، لنجد فيما سيأتي في ضمير المخاطب ارتباطًا كبيرًا بين المتكلم والمخاطب، ليُبين قوة ما كان بينهما من علاقة ومودة، وكلّ ذلك في سبيل أن يتراجع عما أتاه من منافسته على ولّادة بنت المستكفي، كما نلاحظ التنوّع في كل أشكال الضمائر الدالة على المتكلم إلا الضمير الوحيد المنفصل **(أنا)**، حيث لا يتلفظ المرسل بضمير المتكلم ابتداءً في خطابه، خصوصًا عند اجتماعه بالمرسل إليه؛[١] لأن ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة [٢] حيث يظهر لنا أنه إنما أراد أن يغرس نفسه في النصّ وأن يكون موجودًا فيه من خلال الضمائر المتصلة، وكذلك

(١) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص٨٣.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م)، ص٣٩٧.

المستترة، ليخرج لنا هذا النص البديع الذي سيكتمل ببقية الإشاريات الشخصية: المخاطب، والغائب.

ثانيًا: ضمائر المخاطب. والمرجع في ضمائر المخاطب في هذا النص إلى الوزير ابن عبدوس، الذي نافسه في حبّ ولّادة، فكان أول ما أورد في القصيدة من عتاب له هو استظهار القصيدة بإشارية ضمائرية تشير إلى المخاطب، ومرجعها خارجيّ غير وارد في الأبيات، وهو الوزير ابن عبدوس، وقد لاحظتُ أنها تزيد في عددها عن عدد ضمائر المتكلم إضافة إلى تنوعها واختلافها، الأمر الذي يشير إلى طرق ابن زيدون لأكثر من أسلوب ما بين إضمار واستتار وإظهار وإخبار، إلى محاولة محاباة الوزير ابن عبدوس، ومن ثم تهديده، وكل ذلك حتى يصل إلى غايته، وسأعمد إلى إحصائية كل ضمير مما سبق لأقارنه بغيره وأوضّح نسبة كل واحد منها بما يضعنا في شكل واضح للمقارنة أيها أكثر ورودًا، وكما ذكرتُ، فقد اشتملت الإشاريات الشخصية لضمائر المخاطب على عدة أشكال، هي على النحو التالي:

الضمير المتصل (تاء الفاعل المخاطب): وقد وردت في النص في المواضع التالية: (أثرتَ)، (ونبهتَه)، (وما زلتَ)، (قابلتَها) ، (كنتَ)، (حسِبتَ)، (عمِدتَ)، (لفوّقتَ)، (وأرسلْتَه)، (لو أصبتَ)، (وشمّرتَ)، (غدَوْتَ).

وقد كان هذا الضمير هو بوابة الدخول إلى النصّ بأن يشير إشارة واضحة إلى المُخاطب، حتى وإن لم يكن اسمه معلومًا، إلا أن الغرض من هذا النصّ هو أن يعدل رأيه عما يريده من مشاركته محبوبته، فاستعمل تاء الفاعل المخاطب في **١٢ موضعًا**، وكلها تشير إلى إحداث الفعل من قبل المخاطب، ليجعله على بينة بما قام به.

الضمير المتصل (كاف الخطاب): (أعيذكَ)، (بِرّكَ)، (اختصاصكَ)، (لحاليكَ)، (وغرّكَ)، (إليكَ)، (وإلا انتَحَتَكَ)، (خليلَكَ)، (أنّكَ)، وقد استعمل ابن

زيدون هذا المضير في **٩ مواضع** ليعزز ذات الفكرة التي تطرقت إليها، لنرى تكرار المقصد في المخاطبة، وإن تعددت الأساليب، واختلفت الضمائر، وكلها تشير إلى مرجعٍ واحدٍ وهو: أنتَ أيها الوزير ابن عبدوس.

الضمير المستتر (أنتَ): (تبسط أنت)، (حذار حذارِ أنت)، (من أن ترى أنت)، (أبِن أنت)، (ألم تكُ أنت)، (ولم تتئِب أنت)، (تعارضُ أنت)، (تظُنُّ أنت)، (فاستقل أنت)، (لِتُبرِمَ أنت)، (ولا تعتصم أنت)، (وسيِّم أنت)، (وأنذر أنت)، (وأشعِرهُ أنت)، (وأعْلِمْهُ أنت)، ولعلي أجد ما وجدهُ مبدع النص ابن زيدون، حيث اتّخذ الاستتار والتقدير والإضمار وسيلة لترابط النص وتماسكه، وخلق تناغم واضح بين المتكلم والمخاطب، ليحقق باستعماله لهذه التقنية في **١٥ موضعًا** ما أراد، ويترجم للمخاطب ما يكنّ في نفسه.

النداء: (أرى كلّ مُجرٍ يا أبا عامرٍ)، (يا أبا عامرٍ أين ذاك الوفاء)، (يا أبا عامرٍ عثرة فاستقل)، وقد ألحقَ من تحدّث عن الإشاريات النداءَ بالإشاريات الشخصية الدالة على المُخاطب، فكأن النداء يشير إليه: أنتَ، وقد استعمل ابن زيدون هذا الأسلوب باعتباره منبّها وكذلك منوّعًا لطريقة طرق ما يريد طرحه على صديقه ابن عبدوس، فوزعها في الأبيات بطريقة ذكيّة، إذ وردت في **٣ مواضع** متفرقة بصورة متناسبة نسبيًا، ليَّكون؛ هناك تنبيه وتوضيح، وإجمالًا، فإن عدد استعمالات ضمائر المخاطب في هذا النصّ تقارب نسبيًّا استعمال ضمائر المتكلم، فقد ورد استعمالها في **٣٩ موضعًا** من مواضع النصّ بكل أشكال ضمير المخاطب.

شكل (٥)

ولعلني أعقد مقارنة يسيرة بين ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب، دون أن يكون معها ضمائر الغائب أو الشخصية الثالثة، باعتبار أن التداولية في الخطاب في شكلها الأوليّ تقوم على المتكلم والمخاطب، وهي كما يلي:

العدد	٣٣	٣٩
الأنواع	٣	٤
الانتشار	متوسط	مرتفع
التكرار	قليل	قليل
النسبة	%٤٦	%٥٤

جدول (١)

ثالثًا: ضمائر الغائب (الشخصية الثالثة) . وفي هذا النص نجد أن الغائب أتى لنوعين من المراجع، إما أن يكون مرجعًا داخليًّا يعود عليه، أو يكون مرجعًا خارجيًّا، وفي الشكل أدناه توضيح لهذا التقسيم:

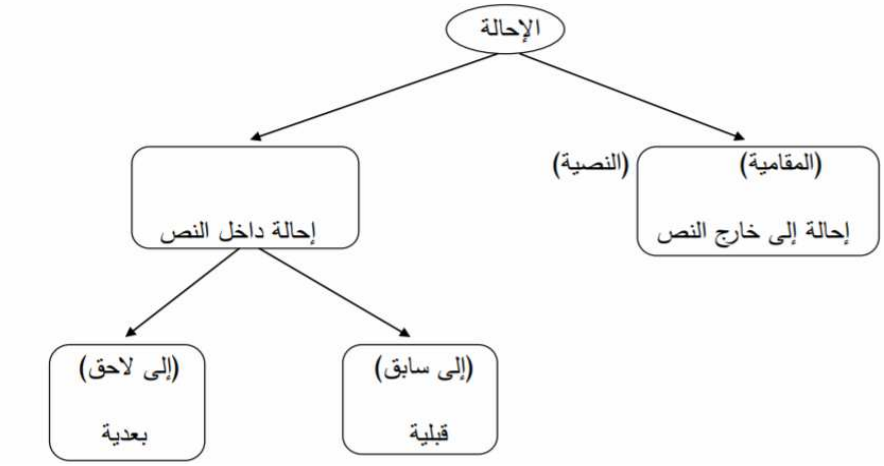

شكل (٦) [١]

ويعتبر جورج يول أن الإحاليات تفريع أو اشتقاق من الإشاريات، وأنها لا تعدو أن تكون مختصة بوظيفة مواصلة الإشارة،[٢] فتصبح الإحاليات عندئذٍ إشاريات إلى الإشاريات الأصلية التي تُحيل إلى خارج النص[٣].

وفي هذا النص استعمل ابن زيدون كثيرًا من الإحالات لا سيما في ضمير الغائب، وسأستعرضها في جدولٍ يُبيّن موضع الإحالة والمرجع الذي أحيلت عليه، وما إذا كان داخل النص أو خارجه، لعلنا بهذا نستشف أعماق النصّ واستعمال ابن زيدون للإشاريات في ضمائر الغائب:

م	موضع الإحالة	المرجع	نوع الإحالة	ملاحظات
١	إذ ربض هو	هزبر الشرى	داخلية	
٢	ونبهتهُ	هزبر الشرى	داخلية	

(١) الأبعاد التداولية في مقامات الحريري، النذير صبعي، رسالة ماجستير، (الجزائر: جامعة محمد خيضر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م)، ص٢٢.

(٢) الكتابة ورهانات الإقناع: مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد، بشير دردار، رسالة دكتوراه (مخطوط)، (تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠١٢م)، ص١٩٣.

(٣) الكتابة ورهانات الإقناع: مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد، ص١٩٤.

م	موضع الإحالة	المرجع	نوع الإحالة	ملاحظات
٣	إليه يد البغي	هزبر الشرى	داخلية	
٤	لما انقبض هو	هزبر الشرى	داخلية	
٥	سيم هو، أبى هو	الكريم	داخلية	
٦	فامتعض هو	الكريم	داخلية	
٧	ليس بمانعهِ	الشجاع النهوس	داخلية	
٨	يقصر عنها	المساعي	داخلية	
٩	من عدّه	منبع الغمر كثير المياه	خارجية	
١٠	قابلتها	الشمس	داخلية	
١١	يُسَرُّ هو	كلّ من أراد الجري	خارجية	
١٢	فغادرتهُ، ما بهِ	الحائن الذي يتحين الفرس	خارجية	
١٣	حسبت بها	نفحة الأدب	داخلية	
١٤	ضاحكتها	التُّرع والماء الكثير	داخلية	
١٥	أهدى هو	البارد العذب	داخلية	
١٦	تعارض جوهرهُ	شعر ابن زيدون	داخلية	
١٧	عفا رسمهُ	القريض	داخلية	
١٨	وأرسلتهُ	سهم النضال	داخلية	
١٩	ساحلها	لجة البحر	داخلية	
٢٠	تظن الوفاء بها	ولّادة بنت المستكفي	داخلية	
٢١	فيها تقول	ولّادة بنت المستكفي	داخلية	
٢٢	استُحمِدت هي	ولّادة بنت المستكفي	داخلية	

م	موضع الإحالة	المرجع	نوع الإحالة	ملاحظات
٢٣	وأشعِرهُ، وأعلِمهُ	ابن عبدوس	خارجية	
٢٤	لقلاهُ	ابن عبدوس	خارجية	
٢٥	لإبّانهِ	الجنى	داخلية	

وهذه الإحالات – كما نلحظ – تخدم بشكل كبير النصّ من حيث إيصال المراد الذي يريده ابن زيدون لابن عبدوس، ويجلب له كثيرًا من الأمثال والتشابهات التي تُشبه حاله مع ولّادة بنت المستكفي، ليكون هذا النصّ تداوليًّا إشاريًّا من الدرجة الأولى في الضمائر بكل أشكالها.

المطلب الثاني: الإشاريات الزمانية

وهي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، إذ هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يُعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ. (١)

وقد اتضح لبنفست أن دلالة الزمن لا تتحدد بزمن الفعل أو الظرف في حد ذاته، وإنما بزمن التلفّظ؛ ومعنى ذلك أننا عندما نعمد لظرف زمن مثل أمس، فإن دلالته تتحدد بالزمن الذي أُنتج فيه الملفوظ، أي أنه يدلّ على اليوم الذي سبق إنتاج الملفوظ، وبالمثل: فإن غدًا تدل على اليوم الذي يلي زمن الحديث، ومن هذا المنظور يتضح أن الزمن بقدر ما يمثّل عنصرًا ملازمًا لكل لغة وحدثٍ لُغويّ، بقدر ما تتصل دلالته بالخطاب والاستعمال. (٢)

وفي حال لم يُعرف مرجع الزمان، فقد يواجه القارئ أو المستمع مشكلة تتمثل في عدم معرفة ما يتشابه، فإن ورد في كتابٍ ما ذكر الحرب، دون إشارة إلى

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٩.

(٢) التداولية: أصولها واتجاهاتها، ص ٨٠، ٨١.

زمانها، فقد يتساءل القارئ عن أي حرب هي، وكذلك لو ورد ذكر صفة اعتبارية كرئيس دولة مثلا أو قائم بأمر ما دون ذكر الزمان حينها فذلك مما قد يسبب التباسًا. (١)

كما يمكننا الإشارة إلى أن العناصر الإشارية الزمانية قد تكون دالة على الزمان الكوني الذي يُفترض سلفًا تقسيمه إلى فصول وسنوات وأشهر وأيام وساعات... إلخ، وقد تكون دالة على الزمن النحوي وقد يتطابقان في سياق الكلام، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمان الكوني فتستخدم صيغة الحال للدلالة على المضي، وصيغة المضي للدلالة على الاستقبال، فتظهر إشكالية لا يحلها إلا معرفة سياق الكلام ومرجع الإشارة.

وفي هذا النص سأعمد إلى تحليل العناصر الإشارية الزمانية، التي تدل على زمانٍ باعتباره كونيّا، وكذلك بعض التي تعتبر زمانًا نحويًّا، ولكن يجدر التنويه – كما أسلفتُ – إلى أن الزمن النحوي– فيما يغلب– يخالف الزمن الكوني؛ لأن المضارع النحوي مضارعٌ ولو كان ما كان، أما الزمان الكوني فينتهي بانتهاء حينه، ولا يتجدد.

فنأخذ من النصّ مثلا العنصر الإشاري الزماني (وما زلتَ **تبسط** مسترسلًا) نجد أن الزمان هنا زمانٌ نحوي، وليس زمانًا كونيّا، فقد قام ابن عبدوس – بحسب وصف ابن زيدون – ببسط يد البغي إلى هزبر الشرى، وانتهى مما فعله، ولكن الإشارة هنا تتجدد باعتبارها زمانًا نحويًّا، وفي نفس الوقت انتهت باعتبارها زمانًا كونيًّا في وقت ابن زيدون وابن عبدوس، وعلى هذا تُقاس جميع الأفعال بأزمنتها النحوية.

أما في قوله: (**وهيهات** من شاب ممن محض) فهنا نجد أن كلمة (هيهات) اسم فعلٍ بمعنى بعُد، أي بعد فرقًا، وقد يكون المرجع هنا مرجعًا زمنيًّا، لكنه غير

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢١.

محدود بوقت معين، فتأويل هذا المعنى هو أنه (تباعد الفرق بين من أخذ الماء مشوبًا، ومن أخذه محضًا صافيًا) وهذا البُعد غير معلوم مدته ولا وقته.

كذلك في قوله: (أم قد **عفا** رسمه فانقرض؟) هو هنا يتساءل هل مر الزمان على أساليب القريض فلم تعد كما كانت سابقًا، فجئت تعارض جوهري بهذا الشعر غير الثمين؟ فهنا نجد كذلك إشارة زمانية تدل على المرور والانقضاء، إلا أنها تظلّ مجازية غير محددة بوقت ولا زمن.

وفي ذات السياق نجد قوله: (وغرّك من **عهدِ** ولّادةٍ * سرابٌ تراءى وبرقٌ ومض)، فهو هنا يشير إلى كلمة (عهد)، التي تعني الزمان والوقت، وإن كانت كسابقتها من الإشاريات الزمانية غير محدودة إلا بوقت المرجع الذي أحالت عليه وهو (عهد ولادة وعصرها).

المطلب الثالث: الإشاريات المكانية

وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم أو وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربًا أو بُعدًا أو وجهةً، حيث يستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل: هذا وذاك، وهنا وهناك، ونحوها، إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى ذلك المكان، فهي تعتمد على السياق الماديّ المباشر الذي قيلت فيه. (١)

وما قيل في الإشاريات الزمانية، فإنه ينسحب أيضًا على نظيرتها المكانية، إذ إنها لا تحمل دلالتها في ذاتها، بل إن معناها يتحدد بسياق التلفّظ، فعندما أقول: أنا جالس قرب المنزل، يظهر أن ظرف المكان "قرب المنزل" لا قيمة له إلا فيه حال معرفته بمكان التلفّظ، وكذلك إذا غيّر المتكلم مكانه فسيصبح ظرف المكان

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢١-٢٣.

مجرّدًا من معناه، فإن تحديد المرجعية المكانية تفرض على المخاطب مراعاة سياق إنتاج الخطاب. (١)

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحًا هي كلمات الإشارة نحو (هذا وذاك) للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية: وهو المتكلم، وكذلك (هنا وهناك) وهما من ظروف المكان مثل: فوق وتحت وأمام وخلف، وكلها عناصر يُشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه. (٢)

ويرى بعض الباحثين أن عناصر الإشارة إلى المكان قد تنتقل للإشارة إلى ما يسمونه: المسافة العاطفية، وتسمى حينها بالإشارة الوجدانية، وهو أقرب إلى ما يسميه علماء المعاني بالتحقير بالقرب، والتعظيم بالبعد. (٣)

ونجد بعض هذه الملامح المكانية في نص ابن زيدون كما يتضح في هذا الجدول:

م	الإشارية المكانية	المرجع	الإيضاح
١	في **خلاء** ركض	أي خلاء	ليس المقصود به مكانا بعينه، وإنما يشير إلى مقصد مجازي
٢	إذا الشمس **قابلتها**	أمام الشمس	يخبر أنك الشخص الأرمد إذا وقف أمام الشمس فلا بد أن يغضّ جفونه لأنه لن يستطيع احتمالها
٣	**وهيهات** من شاب ممن	ابتعدَ	وهي دلالة مجازية تدل على أن هناك فرقًا بين من يشرب الماء صافيًا

(١) التداولية: أصولها واتجاهاتها، ص ٨٢.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢١-٢٣.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢١-٢٣.

م	الإشارية المكانية	المرجع	الإيضاح
	محض		ومن يشربه مكدّرًا
٤	**هي البحر**	أي بحر	ليس المقصود بحرًا بعينه، وإنما يشير إلى معنى مجازي يتمثل في عدم قدرة الآخر على فعل الأمر

المطلب الرابع: الإشاريات الاجتماعية

وقد أزمعت فى بداية الدراسة أن أتناول الأنواع الثلاثة الأولى، وهي أساس الإشاريات، إلا أن علاقة الإشاريات الاجتماعية وأهميتها لهذا النصّ هي ما حدت بي إلى بعض الإشارات إليها، حيث تُعرّف بأنها ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث علاقتها سواء كانت رسمية أو أُلفة ومودة.

والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سنًّا أو مقامًا من المتكلم، وكذلك مراعاة المسافة الاجتماعية بينهما، وتشمل الألقاب مثل: فخامة الرئيس، والإمام الأكبر، وجلالة الملك، وسمو الأمير، وفضيلة الشيخ، كما تشمل: السيد، والآنسة، والسيدة، ويدخل فيها: حضرتك، وسيادتك، وسعادتك، وجنابك. [1] وظاهر الإشاريات الاجتماعية يشير إلى أن هذا المبحث من المجالات المشتركة بين التداولية وعلم اللغة الاجتماعي.

وقد أورد ابن زيدون في قصيدته عبارة مثل (ويكفيك أنك **يا سيدي** * غدوت مقارن ذاك الربض)، فهو هنا لا يستعملها على حقيقتها، وإنما يستعملها في سياق الذمّ؛ لأنه يتعامل مع صديقه السابق ابن عبدوس، الذي يريد أن يشاركه في حبّ ولّادة بنت المستكفي.

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٥، ٢٦.

وكذلك ننظر إلى عبارة مثل: (وأنذر **خليلك** من ماهر * بطب الجنون إذا ما عرض)، فهو هنا يشير إلى الخليل، مثلما نقول: (صاحبك فلان) ونقصد به العدوّ، وهذا كلّه يتحدد بسياق النصّ ومعرفة المرجع الذي تعود إليه.

**

الخاتمة والتوصيات

فيما سبق تبيّن لنا كيف أن التداولية باعتبارها مؤثرًا حقيقيًّا وتنظيرًا ضابطًا قد أثرت المباحث اللغوية، وقد تجلى ذلك في مبحث الإشاريات وتداوليتها، الأمر الذي يفتح أمام الباحثين في بناء الخطاب وإحكامه نوافذ شتى، تجعلهم يطلعون على حدائق غنّاء في هذا المجال.

في هذه الدراسة النظرية التطبيقية تجلت لنا الإشاريات باعتبارها رابطًا يوثّق جوانب النصّ ويشدّ من أركانه، فإن كان عماد النصّ أو الكلام أو الخطاب فكرتهُ، فإنّ الإشاريات هي إحدى الروافد التي تمدّه بالمتانة والإجادة، وهي الأركان التي تُحدث تناغمًا يؤدي إلى دلالات أعمق من الدلالات الظاهرة في المعاني المصوغة؛ لأن الإشاريات إنما تكون خفيّةً غير ظاهرة كما يظهر غيرها، إلا أن أثرها في توجيه الخطاب وتحديد مساره كبيرٌ ومهم.

أما فيما يتعلق بالجانب التطبيقي، ومن خلال توظيف هذا الإجراء التداولي لتحليل العلامات اللغوية للملفوظ في هذا السياق، فقد ظهرت هذه النتائج كما يلي:

- استطاع ابن زيدون في ضاديته (أثرت هزبر الشرى إذ ربض) أن يؤسس بالإشاريات بأنواعها وأشكالها علاقة اجتماعية بين طرفي الخطاب فيها (المتكلم والمخاطب).
- أخذت الإشاريات الشخصية النصيب الأكبر في هذا النص، حيث شكلت مدلولات خفية تسللت إلى المعاني التي أرادها مبدع النص أن تتجلى فيه، وقد توزعت بحنكة وخبرة كبيرتين، مما يدل على معرفة مبدع النص بأسس الخطاب وخوافيه.
- أبرز ابن زيدون في النصّ كثيرًا ضميري المخاطب والمتكلم، مما حدا به إلى أن يُظهر قوة العلاقة بينه وبين ابن عبدوس، وكان إظهار هذا الأمر عبر وضع جميع أشكال الضمائر من متصل ومستتر، فكان لهذا بالغ الأثر.

- اشتمل النص على كثير من الإحالات التي لا تصب مباشرة في صلب الأمر وإنما تصبّ فيه عبر وسيط قويّ، بحيث تبدو للناظر أنها معانٍ مختلفةٌ، بينما نجد أن وراء الأكمة ما وراءها مما أراده مبدع النص.
- كان لوجود الإشاريات في هذا النص بالغ الأثر في ترابط النص وتماسكه وتمام معناه، حيث عُدت هذه القصيدة من القصائد بالغة الجودة في غرضها وهو العتاب واللوم.

والذي يمكن أن أضيفه إلى هذا السياق، هو بعض التوصيات التي قد تسهم في فاعلية استعمال تقنية الإشاريات للعلوّ بالخطاب، وتحقيق المراد منه على أكمل وجه، ومن ذلك:

- العمل على إنشاء مدوّنة رقميّة إلكترونية تُعنى بجمع الإشاريات بكل أشكالها، وتحديثها بشكل مستمر، لا سيما وأن اللغة ولّادة متجددة، وتُعنى هذه المدوّنة الرقمية – بالطبع – باللغة العربية، وبالأخص فيما يتعلق بالإشاريات الشخصية والمكانية والزمانية.
- استحداث برامجَ تعليمية استخلاصية تقوم على ورش عمل لتداول النصوص ذات الشأن، والتعامل معها من حيث تحليلها تداوليًّا وبالتحديد الإشاريات فيها؛ لأن ذلك يخلق لدى مستعملي اللغة معرفة ثاقبة بمواضع الخطاب وآلياته.

**

المصادر والمراجع

- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**. محمود نحلة. الإسكندرية: كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- **الأبعاد التداولية في مقامات الحريري**. صبعي النذير. رسالة ماجستير. الجزائر: جامعة محمد خيضر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م.
- **استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**. عبد الهادي ظافر الشهري. ط١. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.
- **الإشاريات التداولية في المقال الصحفي الإسرائيلي**. عزة رمضان. بحث منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة عين شمس (٢٠٢١م).
- **البعد التداولي للإشاريات الشخصية في مقامات الحريري: الضمائر أنموذجًا**. مشردي آمال ومزوز دليلة. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. مج٩. عدد٤ (٢٠٢٠م).
- **البعد التداولي للإشاريات في سورة التوبة**. سامية شودار. بحث منشور في مجلة المخبر. الجزائر: جامعة بسكرة، ٢٠١٦م.
- **تحليل الخطاب**. يول براون. ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي. المملكة العربية السعودية: الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م.
- **تداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي: مجالس دمشق نموذجًا**. لندة قياس. مجلة أبوليوس. جامعة محمد الشريف مساعدي. مج٥. العدد ٩ (٢٠١٨م).
- **تداولية الإشاريات في شعر النابغة الذبياني**. حمادي خلف سعود. بحث منشور في مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية. العدد الثامن والثلاثون (٢٠٢٠م).

- **التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. مسعود صحراوي. ط١. (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥م).**
- **التداولية: أصولها واتجاهاتها.** جواد ختام. ط١. الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- **التداولية.** جورج يول. ترجمة: قصي العتابي. ط١. الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م.
- **الخطاب: تحديات وتصورات.** أغليمو محمد. مجلة بصمات. جامعة الحسن الثاني المحمدية، كلية الآداب، العدد السادس (٢٠١٥م).
- **ديوان ابن زيدون. دراسة وتهذيب:** عبد الله سنده. ط١. بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **في اللسانيات التداولية.** خليفة بوجادي. ط١. الجزائر: بيت الحكمة، ٢٠٠٩م.
- **القاموس الموسوعي للتداولية.** جاك موشلر وآن ريبول. ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين. ط٢. تونس: المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٠م.
- **الكتابة ورهانات الإقناع: مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد.** بشير دردار. رسالة دكتوراه (مخطوط). تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد، ٢٠١٢م.
- **لسان العرب.** محمد بن مكرم بن منظور.ط٣. لبنان: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي.** طه عبد الرحمن. ط١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.
- **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب.** حمو الحاج ذهبية. المدينة الجديدة: تيزي ويزي، الأمل للطباعة والنشر، ٢٠١٢م.
- **مسرد التداولية.** مجيد الماشطة وأمجد الركابي. ط١. عمّان: دار الرضوان، ٢٠١٨م.

- **المشيرات المقامية في القرآن.** منى الجابري. مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٣م.
- **المشيرات المقامية في اللغة العربية.** نرجس باديس. مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٩م.
- **نسيج لنص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا.** الزناد الأزهر. ط١. المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م.
- **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون: دراسة ونصوص.** فاطمة الطبّال بركة. ط١. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

* * *